١ — متى ينضج الأديب ؟

من قراء « الرسالة » شابٌ يقيم بإحدى قرى المنوفية ، وهو شاب يشتعل حماسةً لأدبه ، ويؤمن بأنه مظلوم أقبح الظلم ، لأن « الرسالة » لا تلتفت إلى ما يرسل إليها من القصائد الجياد

كتب إليّ هذا الشاب منذ شهرين خطاباً يشرح فيه تغافل الأستاذ الزيات عن فنه الجميل ، وكان خطابه قطعة نثرية مقبولة ، فرجوت أن يكون شعره مثل نثره ، ودعوته إلى إرسال إحدى قصائده « لأتوسط » في نشرها بالرسالة ، فجاءت منه قصيدة طويلة تشهد بأنه بعيد من الصياغة الشعرية ، وإن كان على شيء من قوة الإحساس ... وكانت النتيجة أن أشارك هذا الشاب في حقده على الأستاذ الزيات لتغافله عن القيمة « الصحيحة » للأشعار المبتدئين ! !

وفي هذا اليوم تلقيت خطابين من هذا الشاب يفيضان بالتوجع والتفجع ، وينذران بخاتمة أليمة ، إن قصرتُ في تشجيعه على نشر ما يريد . والخواتم الأليمة معروفة ، وأخفُّها أن يحبس الشاب نفسه في قرار النيل إلى يوم البعث ، بعث الأشعار والأجساد !

وقد تفضل هذا الشاب بإرسال صورته إليّ ، فقد تبخل الأقدار بأن أراه ، وعندئذ تكون هذه الصورة مبعث ندم مقيم على ما ضيعت عليه من فرص التشجيع !

وأجيب بأن لهذا الشاب أن يقتل نفسه حين يشاء ، ما دام يتوهم أن الحياة كل الحياة أن ينشر قصيدة في إحدى المجلات ، وإن لم يصل إلى النُّضج الصحيح

لقد قلت ألف مرة ومرة : إن التسامح مع المبتدئين جرمٌ فظيع ، لأنه يهوّن عليهم الحياة الأدبية ، ويوهمهم أن الأدب لا يفرض على أصحابه تكاليف من الدراية والخبرة والاطلاع على أسرار الوجود

اسمع يا بني

تنقسم الأخشاب إلى أنواع : خشب للوقود ، وخشب للسقوف ، وخشب للنوافذ والأبواب ، وخشب لدقائق الأثاث ، والنوع الأخير هو أثمن الأخشاب

فهل تعرف أعمار هذه الأصناف ؟

تتفاوت أعمارها بحسب القيمة ، فمن الأخشاب ما ينضج في خمسة أعوام ، ومنها ما ينضج في خمسين عاماً ، لأن الطبيعة لا تقدر على إنضاج الصنف الجيد إلا في الأزمان الطوال

فكم سنك ، يا بني ؟ كم سنك ، فلن تكون قيمتك إلا بقدر ما أنفقت الطبيعة من الزمن في تكوين عقلك ؟

صورتك تحدثني بأنك لم تجاوز العشرين ؟ فهل تصدّق أن الأدب الجيد يتمّ لأحد في سن العشرين ، تلك أيامٌ خلَتْ ، حين كان جمهور الشاعر والخطيب من عوامّ الناس ، أما اليوم فجمهور الشاعر والكاتب والخطيب ، جمهور مزوّد بثقافات لا تخطر لمن كان في مثل سنك على بال ، وهو جمهور لا يتصدق على أحد بالمنازل الأدبية ، وإنما يخضع راغماً لسيطرة المبقريين ، أو شهرة النوابغ ، فانتظر حظك إن استمعت قولي وأجّلت توديع الحياة إلى أجل بعيد

وتقول إنك تحب ، وإن لك عواطف تستحق التسجيل

فأنت والحب ، وهو من مثلك أشبه الأشياء بعبث الوليد؟

الحب من مثلك فورة سطحية لا تصل إلى أعماق الروح ، لأن الحب أيضاً يفرض ألواناً من التثقيف ، وهي عزيزة عليك ، لأنك في سن العشرين ، سن الأطفال ، فإن لم يكن بدٌّ من أن تعبر عن عواطفك فعبّر عنها بأسلوب من يكون في سنك ، وذلك بعضّ الأنامل ، أو نطح الجدران ، أو الامتناع من تناول الغداء ! !

اسمع ، يا بنيّ

لعلك خُدِعت بما كان يقال من بخل الكهول بتشجيع الشباب ، فجئت تتهم صاحب « الرسالة » بالتجني عليك ، فاعرف الآن أن ذلك اتهامٌ مردود ، وإنما الحق كل الحق أنك لم تقدم شيئاً يحسن عرضه على القراء ، فأنت ما زلت في دور التكوين ،

إلا أن تريد أن يكون عمر مواهبك قريباً من عمر خشب الوقود، وهذا أيضاً أنواع، فخشب السنط يحتاج إلى عمر أطول من عمر الصفصاف، ليكون أقوى وأنفع، والقوة والنفع لا يوهبان في الزمن القليل

يجب أن يعرف شبان اليوم أن الصحافة الأدبية ليست ميداناً للتمرين، فالقارئ لا يدفع «القرش» إلا إذا اطمأن إلى أنه سيجد زاداً للعقل والقلب والذوق. والصحافة الأدبية هي عنواننا في الشرق، فيجب أن تكون حروفها من عصارة العقول والقلوب، وتلك هي المزية الأصيلة للصحافة الأدبية في هذا الجيل

أقول هذا، وأنا آسف، فقد كنت أحب أن يكون في الصحافة ميدان للتمرين، ولكن ما الذي يصنع الصحفيون وقد صارت الصحافة من الميادين الاقتصادية، والنضال في عالم الاقتصاد لا يفوز فيه إلا من يقدمون أجود الأصناف؟

قلت لكم من قبل إن الكاتب الذي يعتمد على ماضيه كاتب مخذول، لأن القارئ يحكم على الكاتب بآخر مقال. ولمجلة الرسالة ماض جميل، ولكنها لا تعتمد عليه، وإنما تعتمد على ثروتها الجديدة في كل أسبوع، فاعرف ذلك أيها الأديب المنتظر. أعد نفسك لجهاد الأيام المقبلات. كتب الله لك العافية، ونجاك من جميع الأسواء؛ إنه قريب مجيب.

٢ — الى الأستاذ سباعي بيومي

نشرت الرسالة كلمة بإمضاء محمد فهيم عبيد عن كلام وقع منك وأنت تحاضر عن المبرد بمدرسة دار العلوم، فقد تحدثت عن أخلاق الشيخ سيد المرصفي بما لا يليق، فإن كان ذلك الكلام لم يقع منك فانفه في العدد المقبل، وإن كان وقع منك فسارع إلى الاعتذار، إبقاء على ما بيني وبينك من وداد، فما أستطيع السكوت عن رجل يتعرض لأخلاق الشيخ سيد المرصفي بسوء، ولو كان من أعز الأصدقاء

وإني أن يثبت أن الراوي افترى عليك، أعلنُ غضبي على ما بَدَر منك، فقد كنت أظن أنك تعرف أن الشيخ سيد المرصفي له تلاميذ يحفظون عهده الوثيق

وسنرى كيف تجيب، إن كنت في العدوان على ذلك الرجل العظيم من الأبرياء

زكي مبارك

بحث ونقد

عزيزي الأستاذ الزيات

بعد التحية. أرجو أن يتسع جيد الرسالة القادم لرد أطلعني عليه اليوم عبد الرحمن أفندي أيوب الطالب بدار العلوم على التعليق الذي نشر في عدد الرسالة الماضي على محاضرتي «أسلوب المبرد في كامله» ولك الشكر

السباعي بيومي

. . . مسألة المرحوم المرصفي لم تبلغ من الأمر ما وصف، وبفرض ذلك فمنذ متى كان المرصفي من المقدسين الذين لا تجوز مخطئتهم ولا نقدهم؟ وإذا كان لتقدمه في الزمن سلفاً صالحاً — كما يعبر الكاتب — مبرأ من العيوب، أفليس من باب أولى أن يكون المبرد تبعاً لهذا القياس أصلح منه وأقوى لغة وأدباً وعلماً كما هو الواقع، يزين كل هذا تواضع واعتراف بأن هذا أمر لا يعرفه إذا لم تكن له به سابقة علم، بينما يعبر المرصفي بقوله: «كذب المبرد في هذا»، و«المبرد في هذا كاذب» دون تورع عن هذا التعبير الجاف الجافي

إن الأستاذ السباعي لم ينقل عن المرصفي إلا أنه كان يملكه الغرور؛ والمرصفي ذاته يسجل على نفسه هذا في كل ما كتب خاصة في مقدمة «رغبة الآمل وأسرار الحماسة»، وكأنه لا يعترف لأحد سواه بعلم من المتقدمين أو المتأخرين

والأستاذ السباعي في حديثه عن المبرد وما يتصل به إنما يصدر في ذلك عن دراسة بعيدة الأمد؛ فهو قد كتب «تهذيب الكامل» من أكثر من عشرين سنة؛ ثم كانت طبعته الأولى سنة ١٩٢٣. فهل يستطيع الزميل أن يرينا مظاهر الأستاذية بعد أن يعلم أن الطبعة الأولى من رغبة الآمل كانت سنة ١٩٣٠، وأن فهارس الكتاب وعناوينه تتفق إلى حد كبير مع تلك التي كان أستاذنا السباعي أول من نظمها في كتابه الذي سبق كتاب المرصفي بنحو سبع سنين. أم أن الأمر لا يعدو أسبقية الزمن فيحكم الزميل بهذه الأستاذية في سذاجة سطحية

إن الكمال العلمي لا يهم كثيراً بالتوافه، وإن السماحة الفكرية في دار العلوم تسمح بكل شيء إلا التهجم والنيل المستور بستار من الغيرة أو الحماسة للعلماء

عبد الرحمن أيوب